

صفحات مجهولة

علي أحمد باكثير النشأة الأدبية في مصر موت

بقلم:
د. محمد أبو بكر حميد

ظلت حياة أديب العربية الكبير الأستاذ علي أحمد باكثير (١٩١٠ - ١٩٦٩ م) مجهولة لم يعرف عنها شيء إلا بعد وفاته . فقد عاش زاهداً في الأضواء ، قليل الكلام عن نفسه ، تاركاً أعماله وحدها تتحدث عنه ولم يعرف عنه إلا أنه ولد في أندونيسيا لأبوين عربيين من حضر موت ثم غادرها سنة ١٩٣٢ بعد فجيعته بوفاة زوجته الشابة التي ظل يكيها طوال عمره حيث أقام عاماً في عدن وعاماً آخر في الحجاز ثم هاجر نهائياً إلى مصر سنة ١٩٣٤م ودرس بقسم اللغة الانجليزية بجامعة فؤاد الأول ، وتخرج منها سنة ١٩٣٩م . ولع نجمه في مصر في هذه الفترة ونسبت إليه ريادة الشعر الحر بعد ترجمته لمسرحية روميو وجوليت سنة ١٩٣٦م ، ثم تصدرت أعماله المواسم المسرحية في مصر منذ منتصف الأربعينات وأصبح علماً من أعلام الأدب العربي المسرحي وظهر بعد رواية (وإسلاماه) و (والثائر الأحمر) رائداً للاتجاه الإسلامي في الرواية التاريخية العربية .

أما كيف جاء باكثير إلى مصر ، وكيف كانت ثقافته آنذاك ، وما نوع الدراسة التي درسها في موطن مولده أندونيسيا وفي موطن آبائه حضر موت ، وكيف دخل الجامعة المصرية مباشرة ، وإلى قسم اللغة الإنجليزية ، وليس قسم اللغة العربية ؟ هذه أسئلة لم نستطع الإجابة عليها إلا بعد الاطلاع على أوراقه الخاصة ورسائله ، وهو ما سنبدأ بالتأريخ له خدمة للدارسين والباحثين .

*** نسبه وأسرته

ينتسب علي أحمد باكثير إلى واحدة من أعرق الأسر في حضر موت وأكثرها إغفالاً في العروبة ، فأسرة باكثير ينتهي نسبه إلى كندة وهو « نسب تقف الفصاحة قديماً وحديثاً عنده » على حد تعبير المحبي صاحب « خلاصة الأثر » .

افتخر شاعرنا بنسب أسرته إلى كندة ، فكندة تدعى « قريش العرب » وإلى كندة ينتسب « امرؤ القيس » أعظم شعراء الجاهلية ، وقاضي القضاة « ابن خلدون » عالم الاجتماع الشهير كندي حضرمي من الأسرة نفسها ، ونحن نجد في ديوان الصبا وهو باكورة شعره في حضر موت العديد من القصائد التي تشير إلى هذه الحقائق ، ففي قصيدة « منهاج امرئ القيس » يقول باكثير مفتخراً :

ومن يكن من آل امرئ القيس فليكن

له المجد من تيجان آبائه تاجاً

ويقفه في المسعى لمجد مؤثلاً

وأكرم بمنهاج امرئ القيس منهاجاً

سأسعى فإما أن أوسد أو أرى

سراجاً منيراً في المكارم وهجاً

وقد قدمت هذه الأسرة العديد من العلماء والفهاء والقضاة والشعراء عبر العصور تمتلئ بسيرهم كتب التاريخ والأدب الحضرمي^(١) .

*** المولد والنشأة

ولد علي أحمد باكثير في ١٥ من ذي الحجة ١٣٢٨ هـ الموافق ٢١ كانون الأول / ديسمبر ١٩١٠ م بأندونيسيا ، وتربى في كنف والديه وتعلم القرآن والعربية ، فقد كانت سوراً بآيا مركزاً من أهم مراكز تجمع العرب الحضارم في الجزر الأندونيسية وكانت

لهم فيها مدارسهم ومعاهدهم وصحفهم ومجلاتهم ، وكان من الممكن للفتى علي أحمد باكثير أن يتقن العربية ويتعلم علوم الدين هناك بيسر ولكن كان للحضارم هناك سنة طيبة اتبعها آباؤهم في مهاجرهم البعيدة في إرسال أولادهم إلى مواطنهم الأصلية لإتقان اللغة من منبعها وتعلم قراءة القرآن بلا لكنة أو عجمة من جهة ولكي يتربى الولد في وطنه على عاداته وتقاليده ويتدرب على الاعتماد على النفس بعيداً عن والديه حتى يقوى عوده ويشد ساعده من جهة أخرى .

هكذا اصطحب الشيخ أحمد بن محمد باكثير معه ولده علياً - الذي كان في سن التاسعة أو العاشرة إلى حضر موت ، وكان وصوله إلى مدينة سيئون - مستقر أسرة آل باكثير وعاصمة الدولة الكثيرية الحضرمية - في ١٥ رجب ١٣٣٨ هـ ، وقد وصف هذه العودة أخوه الشيخ محمد بن محمد باكثير في مخطوطه « البنان المشير » الذي يذكر فيه أن أخاه الشيخ أحمد باكثير اصطحب معه أيضاً ولده عبد القادر وحياء بقصيده مطلعها :

أخي وأخو الندى وصلاً البلاداً

فيا بشراي قد نلت المراداً

ألا يا مرحباً أهلاً وسهلاً

بمن بالجود قد بهر العباداً

بمن ضحكت به الأرجا سروراً

بمن بملابس الإحسان ساداً

إلى أن جاء ذكر الفتى (علي) فقال :

ورابعكم (علي) فالمعالي

تساعد بالرضى لمن استزاداً

أطال الله متعتكم بخير

كثير بالغين به المراداً

*** فجر النبوغ

ولم يكن في حضر موت في ذلك الوقت أي نوع من المدارس النظامية ، وإنما كان التلاميذ يتلقون علم مبادئ القراءة والكتابة في الكتاتيب ثم يتلقون الدروس المتقدمة في اللغة والعلوم العربية والفقهية على أيدي مشايخ يلزمونهم حتى يتموا معهم قراءة مجموعة من كتب النحو والفقه وحفظ بعض المتن .

وقد كان من حظ الفتى علي أحمد باكثير أن افتتحت سنة ١٣٣٩ هـ أول مدرسة في مدينة سيئون بجهود

(١) ولعل أكثر هؤلاء تالقاً في سماء الشعر هو الشيخ عبد الصمد بن عبد الله باكثير (٩٥٥ - ١٠٢٥ هـ) الملقب بشاعر حضر موت في القرن العاشر الهجري الذي ترك ديواناً شعرياً ضخماً لا يزال مخطوطاً إلى اليوم ثم تأتي مجموعة من الأسماء التي جمعت بين الشعر والفقه وتولى بعضهم القضاء مثل الشيخ عبد القادر بن أحمد باكثير (١٠٧٠ - ١١٣٥ هـ) والشيخ عبد الرحمن بن أحمد باكثير (١٠٨٠ - ١١٤٥ هـ) وعلي بن عبد الرحمن باكثير (١٠٨١ - ١١٤٥ هـ) ، وصالح بن عبد الصمد باكثير (١٠٩٢ - ١١٤٧ هـ) ومحمد بن عمر باكثير (١١١٥ - ١١٧٥ هـ) وغيرهم كثير ممن لا يتسع المقام لذكرهم . وقد وردت تراجم حياتهم وأعمالهم في كتاب « البنان المشير » في علماء وفضلاء آل أبي كثير « للشيخ العلامة محمد بن محمد باكثير (١) (١٢٨٣ - ١٣٥٥ هـ) وهو من أشهر علماء آل باكثير في العصر الحديث وقد تتلمذ أدبنا والكثير من أبناء جيله في مدينة سيئون بحضر موت على يدي هذا العالم الجليل .

الأهالي وذلك بعد وصوله من سوريا بأيا بسنة واحدة، وكان والده واحد من ثلاثة كانوا في مقدمة مؤسسي هذه المدرسة وأصحاب اليد الطولى في بنائها معنوياً ومادياً، والاثنان الآخران هما سقاف بن محمد بن عبد الرحمن السقاف وأبوبكر بن طه بن عبد القادر السقاف، وقد سميت هذه المدرسة باسم «مدرسة النهضة العلمية». وقد انتظم باكتير في الدراسة بهذه المدرسة لمدة أربع سنوات وختم دراسته بها حوالي سنة ١٣٤٢هـ، كان فيها من المتقدمين، وقد شهد له من التقيت به في حضرموت من رفاق دراسة الصبا بالنبوغ، فقد كان على قلة إلتزامه أكثرهم تفوقاً وفهماً. وقد روى لي أخوه الأستاذ عمر - رحمه



باكتير في في صباه في حضر موت

حصل عليها في باكر حياته . ويعطينا عمه العلامة الشيخ محمد بن محمد باكتير في كتابه المخطوط «البنان المشير في فضلاء آل باكتير» فكرة أوضح عن دراسة ادبنا في هذه المرحلة الباكرة فيقول معدداً أولاد أخيه «الولد الثالث علي بن أحمد نبيل نبيه ذو فهم جيد بارع، خرج به أبوه من جاوه وهو دون البلوغ، قرأ القرآن وحفظ منه ما شاء الله وصار من أهل القسم الأعلى من المدرسة المسماة النهضة العلمية وترقى فيها وعُدَّ نبياً وحفظ المتون مثل الالفية والزبد والجوهره وغيرها من متون التجويد، كما حفظ اللامية لابن مالك وقرأ في شرحها على عمه جميع هذه الكتب وحضر الدروس وهرع إلى القاموس وحفظ من اللغة كثير ومن الاشعار أكثرًا وقال الشعر وخطب الخطب ...» .

*** مصادر ثقافته
أما تفاصيل مصادر ثقافته وتعليمه في حضر موت فيحدثنا عنها ابن عمه ورفيق صباه الشيخ عمر بن محمد باكتير وقد سجل معظمها في مذكرات لا تزال مخطوطة في حضرموت - روي فيها قصة تتلمذهما على والده الشيخ العلامة محمد بن محمد باكتير وعدد أسماء بعض الكتب التي درسها معاً وسجل بعض الإشكالات النحوية والفقهية التي تعرضا لها . ولعل نظرة إلى عناوينها تدلنا على نوع الدراسة التي درسها على يد عمه بعد تخرجه من مدرسة النهضة وإلى عمق هذه الدراسات التي اتصلت بأمهات الكتب في علوم القرآن والحديث والفقه واللغة والأدب .

فقد درس في فقه المذهب الشافعي - وهو مذهب أهل حضرموت - كتب : «منهاج الطالبين» للإمام النووي وشروحه «ونهاية المحتاج إلى شرح المنهاج» لمحمد بن أحمد بن حمزة الرملي (ت ١٠٠٤هـ) ، «ومغني المحتاج إلى معرفة معاني الفاظ المنهاج» لمحمد الشربيني الخطيب من علماء القرن العاشر الهجري ، «وتحفة الخطيب على شرح الخطيب» للبجيرى (ت ١٢٢١هـ) و «الوجيز من الفقه» لأبي حامد الغزالي و «شرح الزبد» من الفقه الشافعي و «أسنى المطالب شرح روض الطالب» لأبي يحيى زكريا بن محمد

الله - أن علياً كان إذا غاب مرة عن دروس العلوم المستعصية يسأل زملاء عن موضوع الدرس فيطلع عليه في مظانه ثم يعود في اليوم التالي إلى المدرسة وقد نظم تلك المعاني شعراً فيسهل على التلاميذ حفظه . وفي وقت لاحق استقدمت أسرة آل الكاف الثرية في حضرموت أستاذاً مصرياً هو «محمد بن منصور وفا» لتدريس بعض العلوم ومنها علم المنطق ، فكان يلقي دروسه في الصيف في منطقة القرن إحدى ضواحي مدينة سيئون الخلية ، فلم يكن باكتير ينتظم في حضورها وكان الأستاذ يأتي بأمثلة في علم المنطق لا يستطيع التلاميذ فهمها، ناهيك عن حفظها، فعلم باكتير بمضمونها من زملائه فنظمها شعراً وأتى فيها بأمثلة جديدة مبتكرة اعترف المدرس بأنها لم تخطر له ببال ، وما يؤكد صحة هذه القصة إننا وجدنا بين أوراقه في مصر رسالة من هذا المدرس بتاريخ ١٤ صفر ١٣٤٧هـ، يحويه فيها ويبدى إعجابه بنبوغه ويقول له «... وإني لأشمن من عرف كتابك عبير الفضل وطيب العبقريّة وسمات الأريحية» ثم يذكر له أنه يسعد بنظمه تلك الدروس التي لم يحضرها، واعتبر إتقان النظم من هذا الفن «شاهد بأن الناظم قد ملك زمام الفن يتصرف فيه كيف يشاء» . ويبدو أن هذه الرسالة كانت موضع اعتزاز كبير لدى باكتير فقد حملها معه من حضر موت وعبر بها عدن والحجاز إلى مصر ، ولا عجب في ذلك فقد كانت من أولى شهادات التقدير التي



عليها خريطة عقلية
باكثر التي نمت
وتطورت بعد ذلك
في مصر .

وقد ذكر باكثر
في آخر حديث له مع
وسائل الإعلام أجراه معه
الأستاذ فاروق شوشه في

تلفزيون الكويت ، نيسان إبريل ١٩٦٩م (٢) بأنه وصل
إلى مصر وقد استكمل ثقافته العربية الإسلامية من
أمهات كتبها ولذلك فهو لم يشعر أن دراسته بقسم
اللغة العربية بالجامعة ستقدم له جديداً فاتجه إلى
قسم اللغة الإنجليزية .

*** عبقرية الصبا

وكان باكثر محقاً في ذلك ، فمن واقع اطلاعنا على
ما أخذ نفسه به من الدراسة والتحصيل الذاتي في
حضر موت نجده قد تجاوز بكثير ما يدرسه الطالب في
المرحلة الجامعية بقسم اللغة العربية .

ويحدثنا الشيخ عمر محمد باكثر في مذكراته
المخطوطة عن ذكريات تعلمهما في مجالس والده ،
ويسجل لنا بعض المواقف الطريفة ذات الدلالة عما كان
يجري من مطارحات شعرية مرتجلة ومناقشات علمية
في مسائل لغوية وفقهية كان علي أحمد باكثر متميزاً
فيها - وكان عمه العلامة الذي كان ضريراً يعتمد عليه
في كثير من القراءات ويختبر فهمه واستيعابه
للمسائل المستعصية الفهم على بقية تلامذته .

ويدل على سرعة بديهة علي أحمد باكثر فيروي
لنا .. القصة التالية فيقول : كنا نقرأ من الكشكول
للعاملي وبالصدفة جاء بقصة لا تليق به أن يذكرها
فقال الوالد :

« وإنما الكشكول للعاملي

كم فيه من غث وكم من ثمين
فالتقط الطيب منه وخل

كل ما يقلى به أو يشين »
فأجابه الأخ علي مرتجلاً بقوله :

« إنما الكشكول سفر

فيه ما تهوى وتقلى
فهو أحياناً كخمر

وهو أحياناً كخل »

زكريا (ت ٩٢٦ هـ) .

أما في النحو واللغة فقد درس جملة كتب أهمها :
« شرح ابن عقيل على ألفية ابن مالك » للقاضي بهاء
الدين عبد الله بن عقيل من علماء القرن الثامن الهجري
و « ملحّة الإعراب » وشرحها لأبي محمد القاسم
الحريري (ت ٥١٦ هـ) و « قطر الندى » وشرحه و «
شذور الذهب » وشرحه و « مغني اللبيب عن كتب
الأعراب » وهي جميعاً لابن هشام الأنصاري (ت ٧٦١
هـ) كما درس أيضاً « شرح ابن عقيل لحاشية للشيخ
محمد الخضري (ت ١٢٨٨ هـ) .

وقد حفظ من المتن والأراجيز الشعرية خلاصة
الألفية في النحو ولامية الأفعال في النحو لمحمد بن عبد
الله ابن مالك المتوفي في ٦٧٢ هـ . وحفظ جوهرة
التوحيد لبرهان الدين إبراهيم اللقاني المتوفي في
١٠٤١ هـ . والزبد أرجوزة في الفقه الشافعي لأحمد بن
حسين بن رسلان المتوفي ٨٤٤ هـ .

كما قرأ كتباً في الأدب واللغة والعلوم المختلفة مثل
كتاب « الكشكول » لبهاء الدين محمد بن حسن الحارثي
العاملي المتوفي سنة ١٠٣١ هـ ، و « كتاب وفيات
الاعيان » لشمس الدين محمد بن أحمد الشهير بابن
خلكان المتوفي في ٦٨١ هـ ، و « أمالي المرتضى » لأبي
القاسم علي بن الحسين المتوفي في ٤٢٦ هـ .

و « الكامل » في اللغة والأدب لأبي العباس محمد بن
يزيد المبرد المتوفي في ٢٨٥ هـ . إلى جانب الدراسة
الدائبة لكتابي « نيل الأوطار » لمحمد بن علي
الشوكاني المتوفي في ١٢٥٠ هـ ، و « سبل السلام »
للصنعاني وشرح « بلوغ المرام من أحاديث الأحكام »
لابن حجر العسقلاني .

وكان لا بد أن نورد أسماء هذه الكتب جميعاً ما دمتنا
قد عرفنا أنه قد درسها لأسباب أهمها أن هذه الكتب تعد
من أمهات المؤلفات في علومها وفنونها لا يدرسها اليوم
إلا أهل الاختصاص ، فكون أديبنا يدرسها في تلك السن
الباكورة وهو دون العشرين فهذا دلالة على مرحلة
الوعي التي وصل إليها في تلك السن بعلوم الحديث
والقرآن والفقه واللغة والأدب كما تدل أيضاً على مدى
الجد في التحصيل الذي حمل أبناء ذلك الجيل أنفسهم
عليه في عصر لم تكن فيه بحضر موت المدارس
النظامية والمناهج الدراسية . وقد كان لهذه القراءات في
حضر موت أكبر الأثر على وضع الأسس التي قامت

(٢) راجع نص الحديث في كتاب علي أحمد باكثر من أخلام حضرموت إلى هموم القاهرة، د. محمد أبو بكر حميد، دار المعراج الدولية،

ثم يروي هذه الحادثة التي تدل على صورة من صور التعليم والتربية التي كان يتلقاها باكثير في صباه التي تؤكد فيه النبوغ المبكر والموهبة الشعرية الأصلية ، فقد طلب عمه منه ذات يوم أن يصدر ويعجز هذين البيتين :

لا تعجزني يا نفس عن طلب العلا

إن المعالي لا تنال لعاجز

ولتبرزي للناس همة ماجد

كالشافعي والرافعي والبارزي
فاجابه باكثير في الحال :

لا تعجزني يا نفس عن طلب العلا

كيما تفوزي بالعلا كالفايز

ودعي الوني والاتكال كعاجز

إن المعالي لا تنال لعاجز

ولتبرزي للناس همة ماجد

كي تنظلي منهم بعزم بارز

وتربعي دست المعارف والعلا كالشافعي والرافعي

والبارزي

*** بين التلميذ وأستاذه

وقد يمازحه عمه وأستاذه بالشعر ليذكي سرعة بديهته فيقول له حين يتوقف عن القراءة ذات مرة :

لأي شيء يا علي قطعت ما تقري علي
لقصر باعي عنك أو قطعت له غير شيء
يا ابن أخي خذ ما معي مغتنماً ما دمت حي
فيجيبه باكثير ارتجالاً بقوله :

لغير شيء غير أنني أشتكي من قدمي
ويروي عمر بن محمد باكثير هذه الحادثة الطريفة التي وقعت أمامه عند ما كانوا يجلسون للدرس في حضرة والده وابن عمه علي أحمد باكثير فيقول : وذات مرة ونحن نقرأ عليه في الزاوية في درسه ، وكنا نتحدث ، وكان من الأمر أن تكلم أخي عبد الله ، ولم يعلم الوالد أنه يجلس معنا - لأنه كان أعمى - فعندما عرف خاطبه بقوله :

علامتك التراود

فأكمل الأخ علي باكثير :

وهذا منك معتاد

فأردفت بقولي :

كان الشيخ يصطاد « .

أما ما حدث في مناقشتها حول إشكالات نحوية وأدبية ونقدية فيذكر أنها عندما كانا يقرآن بائية المتنبي



باكثير في صدر شبابه في مصر

التي مطلعها :

بأبي الشموس الطالعات غواربا

اللابسات من الحرير جلابيا

استوقفهما البيت الذي يقول :

حاولن تفديتي وخفن مراقبا

فوضعن أيديهن فوق ترائبا

واستشكلنا قوله فوق ترائبا من

جهة النحو كيف نصب ترائبا ، وهو

مضاف إلى فوق الظرفية فبقينا على

ذلك حتى فتشنا في الشرح فلم

يفدنا بشيء ولم يزل الإشكال حتى

سألنا الوالد رحمه الله فقال ممنوع

من الصرف لأنه صيغة مفاعل مثل

مساجد فمذهب ذلك الإشكال .

ومرة أخرى استشكلنا قول

المتنبي :

وللسر مني موضع لا يناله

نديم ولا يقضى إليه شراب

هل معناه لا يصل السر إلى محل الشراب أو معناه

أن المتنبي إذا استودع سرا لا يفشيهِ حتى مع شربه

الخمير حيث الخمر إذا شربت يذهب معها الحس ويفشو

السر من ذلك .

.. وقد فشي هذا الاختلاف في الأوساط الأدبية في

حضر موت واختلف الأدباء في هذا المعنى ، حتى سار

الاختلاف إلى أدباء مدينة تريم واختلفوا أيضاً ،

ووقعت بينهم اختلافات كثيرة في الأدب فما حفظت

منها إلا ما ذكرنا .

وفي خلال العامين اللذين أمضاهما باكثير متفرغاً

للدراسة على يد عمه وهي الفترة من (١٣٤٢ - ١٣٤٤ هـ) .

استكمل ثقافته في الأدب العربي القديم فيحدثنا

رفيق صباه وابن عمه الشيخ عمر ، أنهما قرأ كتباً كثيرة

مثل أمالي المرتضى وأدب الكاتب والكامل للمبرد

والعقد الفريد والأغاني واستوعبا تقريباً ديوان الشعر

العربي القديم كله واغمرهما بالمتنبي والبحثري وأبي

تمام ويقول : « وكدنا نحفظ ديوان المتنبي كله وهو

شيخنا في الأدب » .

وبمجرد فراغه من الدراسة على عمه العلامة

الشيخ محمد بن محمد باكثير عيّن أديبنا وهو في تلك

السن الباكورة سنة ١٣٤٤ هـ ، مديراً لمدرسة النهضة

العلمية بسيئون .

ومن هناك ندخل مرحلة جديدة من حياته وهي



الابتسامات .
وربما كانت
الظروف التي بدأت
تحيط به تصهر
معدنه منذ الصغر ،
فالمرء لا يكاد يصدق
أن صبيّاً في سن الثالثة

عشرة يقف أمام الموت هذه

الوقفة الفلسفية المتأمل ، ويشخص كل ما حوله حزناً
دامعاً في الوقت الذي يتجه فيه أقرانه نحو اللعب
والعب من كأس الحياة على النحو الذي تملّيه أحلام
مرحلة الصبا .

ويبدو أن تجارب الموت المبكرة في أسرته قد صقلت
معدنه وأعانتته على الاستفادة من مخزون تراث الشعر
العربي الذي اطلع عليه .

فنجذ قريحته الشعرية تستجيب أكثر ما تستجيب
لشعر الرثاء ونجد أن نفسه الشعري يطول في هذا
الضرب من الشعر دون تكلف فتواتيه المعاني وتتهياً
له الصور ويستحضر ثقافته الشعرية في سهولة
ويسر . ولا عجب في هذا فقد رزاه الموت في والده وهو
في سن السادسة عشرة سنة ١٣٤٣ هـ ، ثم في أخيه
الأكبر عبد القادر سنة ١٣٤٥ هـ ، ثم بعده بسنوات
قليلة يلحقه أخوه محمد سنة ١٣٤٩ هـ .

فمرثيته في والده مطولة تبلغ سبعة وسبعين بيتاً
تنهمر الدموع من كل كلمة فيها ويتفجر الحزن من كل
بيت من أبياتها ومطلعها :

عَبْثاً تَحَاوَلُ أَنْ تَكْفِ الْأَدْمَعَا

وَأَبُوكَ أَمْسَى رَاِحَلاً مُسْتَوْدَعَا

كيف السلو وما مررت بموضع

إلا وساد الحزن ذاك الموضعَا

كيف السلو وما مررت بمعدم

إلا وأجْهَشَ بالبكاء مرجعَا ؟

ثم يضعنا أمام هذه الأبيات الحكيمة ذات الفلسفة

الحزينة لشاعر لم يصل سنة إلى نضج الشباب :

والعيش أضيق ضيق لكن إذا

ما حلت الآمال فيه توسعا

ولقد سئمت العيش في الدنيا

وما جاوزت بعد ثلاث عشر وأربعَا

علماً بأن سرورها لا ينتهي

إلا إلى حزن يهز الأضلعَا

ثم يغضب على الزمان ويشكوهُ فيقول في رثائه

لشقيقه الأكبر عبد القادر :

العمل بما تعلمه من مبادئ وأفكار والجهر بدعوته
لإصلاح المجتمع من خلال التربية والتعليم .

*** شعره في حضر موت

كان طبيعياً أن تتفجر ينابيع الشعر في نفس الفتى
علي أحمد باكثير في سن الثالثة عشرة من عمره ، فقد
كان الشعر في أسرته ميراثاً ، وكانت البيئة العربية
الخالصة في حضر موت لم تعرف - في ذلك الوقت - من
فنون الأدب غير الشعر يبدع فيه الأدباء خير ما تجود
به قرائحهم ويصورون فيه قضاياهم وقضايا مجتمعهم
ومن خلاله يآلمون ويأملون ويرسمون أحلامهم .

ولقد كان حظ شعر باكثير في هذه الفترة المبكرة
من حياته منقسماً بين الحب والموت وبين الألم والأمل ،
وكان خير مرآة نرى فيها هموم نفسه وعصره وفكره .

وقد عثرت بين أوراقه في القاهرة على مجموعة من
قصائده المبكرة لم تكن ضمن النسخة المخطوطة من
ديوانه الذي تركه في حضر موت المسمى « أزهار الربى
من شعر الصبا » الذي أصدرناه سنة ١٩٨٧ م .

وأقدم قصائده على الإطلاق مرثية في زوجة أبيه
التي يقول في التقديم لها « وهذه القصيدة التي رثي بها
زوجة أبيه المرحومة الصالحة خديجة بنت عمر بن
محمد مهدي قالها الناظم وهو في الثالثة عشرة من
سنه ، وكان حقها أن تثبت في أول الديوان ولكنها فقدت
منذ أعوام ولم توجد إلا الآن » ومطلعها :

أما الدنيا تصير إلى الفناء

فما هذا الضجيج مع البكاء

أما هذي الجبال الشم يوماً

تصير إذا أتى مثل الهباء

إذا جاء الحمام فلا فرار

لديك وليس يجدي من دُعاء

ثم يمضي في هذا التأمل إلى وصف إخلاقها الحميدة
عوطفها وأمومتها ، فقد كانت له عوضاً عن أمه التي

تركها في سورا بايا :

وكانت عندنا أما رؤوفاً

جزأها ربها خير الجزاء

فلسنا نحن بعد فقدك في سرور

وليس العيش بعدك في هناء

وعيني لم تزل تجري بدمع

وبعد الدمع تجري بالدماء

وحزني بعد بعدك في ازدياد

ودمعي بعد موتك في نماء

وقد صدق ، فقد زادت دموعه وتكاثرت عليه الهموم

منذ ذلك السن ، وكانت الدموع في حياته أكثر من



Note: This Certificate should not
be used to Egypt, Palestine, Persia, or
any other countries in Europe, America or to
foreign countries for which regular
ports are required.

PASSPORT OF THE STATE OF SHEHER AND MAKALLA. (ARABIA)

No. 873

Date 20/4/51

Name of Holder Shahid Ali bin Ahmad Baksh

Place of Birth Sheher (Makalla) Residence Sheher

Age 22

Sex Male

Height 5 Feet 10 Inches

Colour of hair Black

Colour of eyes Brown

Visible distinguishing Mark Facial scar on right hand

Nationality British Indian subject

Profession Student

Accompanied by (a) wife

(b) Children

Sex

Age

Identified by an Officer
or respectable person Almar Saad Baksh

Is (are) granted permission to proceed from Makalla
to Mecca, Jeddah, Medina

Signature of Passport Holder
or his thumb impression.

Signature of the Minister or the Passport Officer
or the Officer authorized by H. H. the Sultan.

PHOTO



وشحذ الهمم وإيقاظ النفوس النائمة
وشكوى حال الوطن وبلاد الإسلام
كلها على نحو ما نجد في رثائه
للسيد محمد بن عقيل بن يحيى أحد
العلماء الحضارم سنة ١٣٥١ هـ:

فإذا قدمت على الرسول

قل السلام على أبينا

واشرح له حال الحضارم

بعد حال المسلمين

قل يا أبانا إننا

صرنا نخاف المشركينا

إن الشجاعة قد خبت

نيرانها في المسلمين

صاروا أيادي بعدهم

جنباء حمقى جاهلينا

وقد ظلت قصيدة الرثاء في شعر

باكثير تؤدي رسالة متميزة طوال حياته ولا تقف عند ذرف
الدموع فحسب وبالمثل نجده في اجتماعيات ديوان حضر
موت الذي يمتليء بقصائد التهنئة بالوصول من المهجر
والزواج وغيرها من المناسبات التي يمتليء بها مجتمع مثل
المجتمع الحضرمي يعيش أكثر أهله خارج أوطانهم (١) ثم
توزع موضوعات شعره في تلك المرحلة بين الأدب والوصف
والإخوانيات والنسيب.

والحقيقة أن شعر باكثير في حضر موت خير معين
لمن أراد أن يدرس تكوينه الثقافي الأول ويتعرف على
قراءاته الموعلة في التراث وأعماق التاريخ.

فالقصاصد تزخر بذكر عشرات الأعلام والمؤلفات
والحوادث التاريخية والسير الأدبية والشواهد.

ولم يكن الشاعر في هذا يستعرض ثقافته أو يقحمها
على شعره بل كانت تفرض نفسها عليه في الأماكن
المناسبة.

فقد كان يترك نفسه على سجيتها فما أن ينطلق في
نظم الشعر حتى تنهال عليه المعاني والشواهد مما
استوعبته ذاكراته من دواوين وكتب الأقدمين فيدعو
بعضها بعضاً. وكان هذا «التداعي» إلى جانب حضور
«ثقافته التراثية» السبب الأساسي في طول قصائده
الباركة.

ومن هنا نجد أن معظم قصائد هذه المرحلة تستعيد
موروث القصيدة العربية القديمة وأساليبها في التعبير
عن قضايا معاصرة مثل حسن الاقتباس والتضمين
والتمسك بالمقدمة واستدعاء الصور والتشبيهات.

وثيقة السفر التي خرج بها باكثير من حضر موت إلى عدن سنة ١٩٣٢م فالجواز سنة ١٩٣٢م فمصر سنة ١٩٣٤م حيث أستر فيها

زمان السوء هلا نمت عنى

قليلاً ما مرادك باهتضامي ؟

أبن لي ما مرادك من دموعي ؟

لعلك شئت تكثير الغمام !

أترميني بسهم بعد سهم ؟

لقد ذاب الفؤاد من السهام

أخذت أبي فكان الصبر درعي

وهذا اليوم تفقدني همامي

ثم يقول وقد هده الإعياء والحرز في انكسار :

أخي رحماك ! لا تبعد فم لي

سواك ؟ إذا الزمان حنى عظامي !

وبموت شقيقه الثاني محمد لا نجده يعاتب القدر

وإنما يستسلم لحكمة الله ويتأمل آية الموت بعقل مجرب

لا بعاطفة جازع فيقول في آخر القصيدة :

فأذهب كما ذهب الربيع تفوح في

إنقاضه عباقة أعرافه

فقد استرحت من الحياة وبؤسها

وأمنت مما تتقي وتخافه

ولقيت رباً لا يضام نزيله

والله أكرم أن يهان ضيافه

والمهم أن باكثير يتألق أكثر ما يتألق في نظم

مقطوعات الحزن، والدارس لقصائد الرثاء في

محصوله الشعري في حضر موت يجد أن شاعرنا لا

يكتفي بالنذب والبكاء ومدح الفقيد فقط بل يجعل من

هذه المناسبة مدخلاً للحض على النهوض والعمل



ومجلات قليلة فما
كان ذلك يشبع نهمه
، فقد أقام لنفسه
جسوره الخاصة
فراسل كبريات
الصحف والمجلات
التي كانت تصله بالبريد
أو مع المسافرين من الأصدقاء.

واتصل بقيادة الفكر والأدب في مصر والعالم
الإسلامي ، فقد وجدنا في ملفاته الخاصة رسائل إليه
وهو في حضر موت من أمير البيان شكيب أرسلان من
جنيف يشكره فيها على اهتمامه ومتابعته لما يكتب
ويعدده بأن يرسل إليه بعض كتبه مؤرخه في ١ /
١٣٥١ هـ. ورسائل أخرى من « السيد محمد رشيد
رضا صاحب مجلة المنار » و « السيد محب الدين
الخطيب صاحب مجلة الفتح » ومطبعتها السلفية ،
وكانت « المنار » و « الفتح » تمثلان الصوت الإسلامي
المتميز في ذلك الوقت ، كما هو معروف ، ومنبرا للفكر
الرئيسان في مصر والعالم العربي ، وقد وجدت في
مكتبته في حضر موت الكثير من أعداد هاتين المجلتين .
وقد كان أثر هاتان المجلتان وراء إصدار باكتير مجلة
ثقافية أدبية إسلامية في سيئون بحضر موت باسم «
التهديب » صدر العدد الأول منها في شعبان ١٣٤٩ هـ
والعدد الأخير منها في جمادى الأولى ١٣٥٠ هـ وهذا
يعني أنها لم تستمر أكثر من عام واحد .

وقد كان لاتصال باكتير بأعلام الأدب وقادة الفكر
والثقافة الإسلامية أثر كبير على حياته ونتاجه في
حضر موت .

وهكذا وصل باكتير من خلال اتصال برائدي المدرسة
السلفية الحديثة رشيد رضا ومحب الدين الخطيب إلى
استيعاب فكر جمال الدين الأفغاني والإمام محمد عبده
وتأثره بدعوتهما إلى الجامعة الإسلامية وإلى انفتاح
المسلمين على روح العصر ونبذ الخرافات والاهام وما
علق بالدين من غبار الدراويش والعودة الحقيقية إلى
جوهر الإسلام كما قدرته السنة النبوية الشريفة
وأفعال الصحابة الأكرمين التي أمر الرسول (ﷺ)
بالعض عليها بالنواجذ وإعتبار أن ما أدخل على الدين
مما ليس منه بدعة مردودة .

لكن هذا كله كان دلالة نبوغ واضح لأنك تجده يتفق
في كل ذلك مع طبعه ، وقد وجد في ثقافته الشعرية
معيناً لا ينضب يسعفه بالصور والأخيلة فتتدفق سهلة
دون تلكف .

وكان مثله في هذا كالذي يغترف من بئر الأقدمين
ليجدد بها مياه المحدثين !

لكن هذا لا يعني أن « باكتير » في حضر موت قد
انغلق على دائرة التراث العربي القديم وموروثاته
وانقطع عن الاتصال الحي بالأدب الحديث .

فقد كان هناك اتصال بالحياة الأدبية في مصر
والشام والعراق من خلال ما صدر فيها من مجلات
وصحف وكتب كانت تصل إلى حضر موت بشكل
منتظم ، وكانت هناك أشواق للانفتاح على ما في تلك
البلاد من حركة وتجديد وفكر بالرغم من انقطاع الحياة
الأدبية في حضر موت على الشعر وحده الذي كان الفن
الأول والفن الوحيد في عصر باكتير على الأقل ، فلا
عجب إذن أن يصل صدى كبار الشعراء العرب المحدثين ،
المسيطر على الأسماع هناك ولهذا كان وجود شوقي
وحافظ أكثر من وجود العقاد وطه حسين مثلاً .

ولقد فضل باكتير شعر « حافظ » على شعر « شوقي »
في تلك الفترة حتى إننا لنجده عندما يصله ديوان حافظ
من مصريقيم وليمة كبيرة بهذه المناسبة يدعو إليها
اصدقائه الأدباء والشعراء ، وينظم قصيدة مطلعها :

أهلاً بديوان حافظ يا ليتني لك حافظ
ديوان شاعر مصر أبلغ منش و لافظ
حوى قصائد شعر عيونهن يواظ

وإن كان بعد ذلك عاد وقدم شوقياً على حافظ كما
ذكر في إحدى مقابلاته الصحفية . ومع ذلك فهو لم يسر
على سنة الحياة الأدبية في زمنه فيقصر اهتمامه على
الشعراء فقط ، بل نجده يقرأ لأساتذة النثر الفني في
ذلك الوقت فيعجب بمصطفى لطفى المنفلوطي
ومصطفى صادق الرافعي ، فنجده يكتب قصيدتين في
المنفلوطي الأولى في إثني عشر بيتاً على ظهر كتاب
النظرات عند وصوله وهي من أوائل نظمها ، يقول فيها :

لله در المنفلوطي الذي

نفخ الورى بكتابه النظرات

سفر جليل مستطاب جيد

قد جاء لطفي فيه بالآيات

والثانية على ظهر صورة للمنفلوطي يتمنى فيها أن

يراه في عشرين بيتاً .

كما أعجب بفكر العقاد وقدمه على طه حسين .

ولم يكتف باكتير بما يرد إلى حضر موت من كتب